وجيـــدة

قصة للأستاذ شعبان فهمي

[٢٧٦ صفحة من القطع الصغير . مطبعة صلاح الدين . الاسكندرية ١٩٤٠ . الثمن ٨ قروش مصرية]

بقلم الدكتور إسماعيل أحمد أدهم

وهذه قصة جديدة هي باكورة آثار الأستاذ شعبان فهمي ، وهو أديب مصري شاب . أقام بفرنسا فترة من الزمن ، فانصلت به الأسباب بالجهود الفنية القصصية الكبرى هناك ، فكان من ذلك أن اتجهت قابلياته الأدبية اتجاهاً قصصياً . تظهر فيما له من براعة في السرد وحبك الحوادث ، وهذه القصة على الرغم مما فيها من العيوب الفنية تعتبر النموذج الأول للقصة المصرية الواقعية ، وهي في الوقت نفسه باكورة طيبة للارتفاع بشأن القصة الطويلة في مصر . وهي على الرغم مما فيها قوية في روحها ، تمتاز بانفراج عنصر الحياة التي فيها واتساعها ، ولكن الحشد الكثير للوقائع والتفاصيل ، ثم الاقتصاد في الوصف والتحليل للوقائع الرئيسية وللمواقف المهمة ، ألقى على جوّها شيئاً من الضعف والفكرة التي تمسك على هذه القصة أسبابها متوافقة الأجزاء ، فيها تناظر وانسجام . فهذا منير حمدي شاب مصري يستقبل الأسكندرية بعد غيبة سنتين في فرنسا يدرس فيها الحقوق فلا ترى وصفاً للمشهد العام للأسكندرية من البحر ولا تحليلاً مسهباً للمشاعر التي استولت على نفس الشاب، وإنما تجد الكاتب يطوي الموقف بسرعة معتنياً بوصف تفاصيل لم تكن لازمة ليدنيك أخيراً من خاتمة المشهد المؤلم ، وهو لقاء منير حمدي لوالده بعد غيبته ، وهو على سرير الاحتضار ، ويصبح الفتى بعد وفاة والده موضع العناية والرعاية من عمه الذي يحب أن يظهر له عنايته ورعايته بأن يشجعه على المضي في دراسته حتى يستطيع أن يتزوج ابنته سنية ، ويعلن منير الخبر لبعض معارفه ، فتنتهي إلى سمع سنية التي تثور لأنه لم يحدث أن أخذ رأيها في مسألة زواجها منه . غير أنها تظهر بعد ذلك تحفظاً واقتصاداً معه ، والفتى في تقلب من الحال تتنازعه إغراء الفتيات وقلبه متفتح لإغرائهن وفي يوم ومنير بصحبة «سنية» ابنة عمه في مرقص ، يحدث أن يتوعك مزاجها وتصاب بدوار ؛ فيخرج مندفعاً ليجلب لها قرص « اسبرين » من صيدلية قريبة ، ولكنه لا يحس بنفسه إلا وهو في مفترق الطرق حيث سيارات تمر وعربات تجري وترام قادم ، فيجري ويثب على الدنيا ، ويصحو ليجد نفسه في المستشفى وسنية إلى جواره . ويشعر بألم في طرف قدمه اليمنى فيلقي نظرة فلا يجد سوى قدم واحدة ، أما الأخرى فقد بترت . وتتغير العلاقة بين سنية ومنير ، فسنية ترى أنها مسؤولة عما أصاب ابن عمها منير، ويريح منها إحساس العطف والحدب كبرياءها فتنكشف لها ما تكنه له من حب في أعماقها . غير أن منير يحمل هذا الحب على شفقتها عليه فلا يشجعها في حبها له ويميل عنها ، وإن كان في صميمه يميل إليها . وهكذا يتغير الموقف في القصة . وفي هذا التغيير الذي أحدثه الكاتب ما يدل على براعة فنية غير أن منير تحت تأثير كبريائه يحاول أن ينسى سنية . وينساها بالانغمار في شخصية وجيدة التي تحدب عليه وتعطف . ويسافر منير مع وجيدة إلى باريس ليكمل علومه ، وهنا يعقد عليها زواجه تحت تأثير ثورة من ثورات كبريائه أمام حب سنية له التي كتبت إليه تشكو تباريح غرامها له . والقصة في جزئها الأخير تفقد اتزانها وتناظرها الفكري ، إذ تريح وجيدة شخصية سنية من جو القصة وتحتلها ؛ ولو كان الكاتب اتخذ من وجيدة شخصية عارضة تجيء لتحدث التواؤم بين منير وسنية ، حيث يتزاح عن منير كبريائه وعن سنية شعورها بالمسؤولية فيما أصابه ، ويبدو حبهما لبعض خالصاً ، فإن القصة كانت تتخذ وصفاً أدق للكمال ؛ ومن هنا يمكن اعتبار استهلال القصة أبرع ما فيها من جهة الفكرة المتسقة المسيطرة عليها

وفي القصة مفارقات عجيبة ، فبينما تجد أن شخصيتي منير وسنية متميزتان ، تجد شخصية وجيدة عادية ، رغم ما حاول الكاتب أن يبسطه عليها من الإبهام . وهي برغم عادية شخصيتها ترتبط بشخص منير المتميز الذي ينفصل عن شخصية سنية المتميزة. ولا شك أن هذه المفارقة نتيجة ميل المؤلف مع الفكرة الرومانتيكية حيث الخروج على القواعد الكلاسيكية في القصة . كما وأنه من الملاحظ على شخصية منير اضطرابها وضعفها ، فهو لا يقدر على إثارة حب المرأة له إلا عن طريق إثارة شفقتها عليه ، وهو في الوقت نفسه ثائر لكبريائه ، وفي هذا الاضطراب تقوم شخصيته التي تخلق أعمال القصة بالتداخل مع الشخوص التي تقابله . غير أن الكاتب تمكن من إيجاد الموازنة بين شخصية منير وشخصية